الفئات الاجتماعية للحزب الشيوعي العراقي (١٩٥٤- ١٩٥٥) إنموذجا

أ.م . د شيماء طالب عبد الله

جامعة المستنصرية

Social groups of the Iraqi Communist Party 1954-1955 A Model

Asst. Prof. Dr. Shaemaa Taleb Abdullah

الملخص

برز الحزب الشيوعي العراقي في تاريخ الحركات السياسية في العراق في ثلاثينات القرن العشرين بالرغم من حظر نشاطاته ومنع الانتماء الى صفوفه من قبل السلطة الحاكمة ، وقد تنوعت قاعدته الشعبية وإتسعت في المجتمع بأنتماء الطلاب والعمال والمعلمين والكسبة والشرطة والنساء ، فمن خلال هذه الدراسة نستطيع ان نستنتج مدى تأثير الافكار الشيوعية الجاهزة في المجتمع العراقي بأعتبارها تجربة خارجية لاتمت للواقع العراقي ومشاكلة المحلية والداخلية بأية صلة ووصولها الى فئات متنوعه في المجتمع تحاكي إحتياجاتهم ومتطلباتهم الضرورية في الحياة. وإستنادا لهذا المنطلق جابهت السلطة الحاكمة تلك النشاطاتبالمنع والملاحقات وأصدار الاحكام القانونية والسجن والاقامات الجبرية .

Summary

The Iraqi Communist Party has emerged in the history of political movements in Iraq despite the prohibition of its activities and the prevention of belonging to its ranks by the ruling authority. Its popular base has varied and expanded in society by belonging to students, workers, teachers, gain, the police, and women. Through this study we can conclude the extent of the impact of ready-made communist ideas In Iraqi society as an external experience that did not fit the Iraqi reality and the local and internal problems in any way And its access to diverse groups in society that mimic their needs and requirements necessary in life. On this basis, the ruling authority confronted these activities by issuing legal rulings, imprisonment, and house arrest

المقدمة

تأتي أهمية تسليط الضوء على (الفئات الاجتماعية للحزب الشيوعي العراقي) منطلقاً لسبر غور جدوى انتماء أعداد كبيرة من مختلف شرائح المجتمع لذلك الحزب وتبنيهم الأفكار والمبادئ اليسارية ومن ثم العمل على نشرها وتحمل مجازفة العمل السياسي الممنوع من قبل السلطة آنذاك .يهدف البحث إلى معرفة أسباب انتشار خلايا الحزب الشيوعي في العراق ، وما هي الأوساط التي رعت تلك المفاهيم والمبادئ ولماذا تحملوا عبء ملاحقة السلطة، وبالتالي إصدار الأحكام القضائية ضدهم وإيداعهم السجون ، وكيف كان شكل المعارضة للسلطة أو للأشخاص متمثلة بالملكية أو ولي العرش أو الوزراء . إن الأساليب القسرية والوسائل السلبية التي تعاملت السلطة بها مع الشيوعيين العراقيين لم تجد نفعاً ، بل زادت تلك الوسائل والإجراءات النفرة والشعور بالاستياء في نفوس هؤلاء الشيوعيين فازدادوا بفعل ذلك صلابة وعناداً . لقد أكسبتهم تلك الإجراءات – في الوقت نفسه – عطف إناس كثيرين اعتقدوا أن الحكومة عاملت هذه الفئة من الناس بقسوة وشدة لا مبرر لها .إن أهم ما يميز بحثي هذا هو استخدامي لوثائق المكتب الخاص لوزارة الداخلية في العهد الملكي، وهي غير الوثائق المحفوظة في دار الكتب والوثائق ، فهي تحمل معلومات أدق ولغة الحوار فيها مباشرة لأنها جاءت بشكل كتب رسمية مرفوعة من الألوية المختلفة –المحافظات – إلى وزارة الداخلية ، أو أنها تقارير مديرية التحقيقات الجنائية ، أو هي نتائج محاكمات ، أو إخباريات من شهود عيان رسميين مكلفين بحفظ الأمن ومنع أي نشاط شيوعي او دعاية أو منشور ينتمي لهذا الحزب . ومما يزيد من أهمية هذه الوثائق أنها تستخدم لأول مرة ضمن دراسة بحثية ، إذ لم يتطرق لها أي من الباحثين سابقاً . من جانب آخر لم استعن بمؤلفات الحزب الشيوعي العراقي من الكتب أو المقالات لأنني لم أتطرق إلى تاريخ نشوء الحزب أو مراحلهِ بل استعرضت من خلال الفئات الاجتماعية التي انتمت للحزب الشيوعي القاعدة الشعبية للحزب وملاحقات السلطة لهم وأهداف الشيوعيون في عملهم السياسي وأهم المدن والألوية التي نشطوا بها ، أي مدى شمولية العمل السياسي الشيوعي من خلال الوثائق الغير منشورة فقط . اعتمدت على الوثائق غير المنشورة لوزارة الداخلية لعام ١٩٥٤ – ١٩٥٥ فقط كنموذج للبحث ، وعليه عرضت وثيقتان أو ثلاثة فقط كأمثلة لكل شريحة في المجتمع ، وأسماء بعض الأشخاص الذين تمكنت من الوصول إلى معرفتهم وطبيعة نشاطهم السياسي . فلم تمر عليّ تلك الأسماء والشخصيات كسجلات رسمية دونت فيها المعلومات، بل كانت تاريخ أناس وحياة مدن عالم لم يفكر إلا في استقرار وطنه وتأمين مستقبل أفضل له .**النطاق الاجتماعي لنشاط الحزب الشيوعي العراقي** عد الحزب الشيوعي العراقي أحد الأحزاب اليسارية من أقدم الأحزاب على الساحة السياسية منذ تأسسه عام ١٩٣٤ على يد عدد من النشطاء كان أهمهم يوسف سلمان يوسف الملقب (فهد) وحسين الرحال ومصطفى علي ومحمد أحمد المدرس وغيرهم ، اعتمد نشاط الحزب الشيوعي – السري – على إصدار البلاغات والتعليمات والنشرات والجرائد الدورية التي كانت توزع سراً على أعضائها أو للمجتمع عموماً . إن تبلور الوعي وفق شعارات الحرية والعدالة الاجتماعية والاقتصادية فتحت الباب على مصراعيه لطبقة الفلاحين والعمال والطلاب والكسبة وغيرهم في التعبير عن

طموحاتهم وتطلعاتهم ، فوجد الحزب فيها بيئة خصبة للاستثمار الفكري والآيديولوجي . رمت الشيوعية في العراق بالدرجة الأولى إلى تقوية الروح المعنوية لدى منتميها وأيضاً كانت تشخص الظروف والحوادث والملابسات التي تنجم من تطاحن الشخصيات والأحزاب الطامحة بالحكم للاستفادة منها ، وللتفتيش عن الثغرات للوصول من خلالها إلى أهدافها وهي عالمة تمام العلم بنقاط الضعف في المملكة العراقية آنذاك ، وتحسن انتهاز الفرص للاستفادة من التذمر العام وكسب عطف مختلف الطبقات في المجتمع كل حسب عقليته وتفكيره فتنتقي من هذه الطبقات من له استعداد لحمل المبادئ الماركسية والعمل بها [١] .لقد استند توسع الشيوعية في فئات المجتمع من طلاب ومعلمين وموظفين وعمال وجنود أو شرطة وموظفين وغيرهم إلى عدة أسباب نلخص منها :

– فساد الجهاز الحكومي والتذمر الشعبي العام وعطف رأي المجتمع وعدم وجود خطة ثابتة لمعالجة هذه المشكلة ، وضعف الأجهزة الإدارية في السجون وحصر المكافحة بالطرق السلبية بإصدار الأحكام على الشيوعيين فقط، دون معالجة لأصل المشكلة.

– إن طلاب المناصب والساسة المحترفون والمدعون بالإصلاح من قوميين ويساريين ومعتدلين ممن فرضت الظروف عليهم الأشتغال في السياسة والظهور بهذا المظهر وسلوك الحكومة تجاه هذه الطبقة وطلاب المدارس المثقفون وأشباه المثقفين وأناس من رؤساء العشائر وأشراف ومرتزقة ، خلقوا لهم ظروفاً خاصة ليكونوا طبقة تعتمد على مساعدة الحكومة للتعيش والمفصولين من المدارس والوظائف (إن كانت حكومية أو أهلية) ، والخارجون من السجون والمتهمون بتهم سياسية ، كل هؤلاء تسبب لهم الحكومة البطالة وتسد أمامهم سبل العيش وتمنعهم حتى من ترك البلاد للحصول على الرزق ، والفلاحون وإن كانوا بعيدين عن الإنصياع إلى الشيوعية نظراً لبعدهم عن فهم وإدراك مراميها ، فأن التيارات السياسية ووضعهم المعاشي والاجتماعي يجعلهم غير بعيدين عن الاعتقاد بان مصالحهم قد تكون بجانب الشيوعية خاصة وأنهم يأملون الحصول على الأراضي ورفع مستواهم المعاشي والاجتماعي ، إذا أخذنا بنظر الاعتبار إن المتذمرين في العراق – آنذاك – يشكلون أكثرية مهمة إذا أضيف إليهم العوائل والأقارب والعشيرة[٢]. اما ما يخص المحافظات الشمالية في الموصل والسليمانية وأربيل فلم يكن للحكومة خطة خاصة للقيام بمشاريع كبيرة مع وجود الإمكانات المتاحة ، يصاحبها فقر الطبيعة ومحدودية منابع الثروة حينها ووسائل العيش ، جميعها تعطي مجالاً لتبني وانتشار الشيوعية ، ومما يعزز هذا الأمر أن المناطق الكوردية محرومة كثيراً من فعاليات الحكومة الاجتماعية والثقافية ، مثال ذلك ان كثير من الأقضية والنواحي لا توجد فيها مدارس ووسائل الصحة وإن نسبة حصة المناطق الشمالية من التعليم لا تتجاوز (١٠ %) وتهبط أحياناً إلى (٢ %) ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى قرب المنطقة من إيران وسهولة الوصول إلى روسيا ، وقيام أدارة خاصة شيوعية على حدودها ، والاتصال الوثيق بين سكان المناطق العراقية والإيرانية ويأس الأكراد من نيل حقوقهم كل ذلك يسهل رواج الأفكار الشيوعية بينهم [٣]. أما العمال ، فأن أخصب حقل لغرس بذور الشيوعية هي الطبقة العاملة وأيضاً الطلاب في المدارس نظراً للظروف الاجتماعية والفكرية وانخفاض المستوى المعاشي وسوء العناية الصحية . وأخيراً أن الفقر العام والجهل والبطالة والمرض وفقدان العدالة الاجتماعية ووجود عدد كبير من المتعلمين نسبياً في المملكة مع التطور الفكري وسهولة الاتصالات والمخابرات ووجود الإذاعات العمالية واتكال الشعب على الحكومة لتحقيق العدل الاجتماعي عن طريقها فقط وذلك لفقدان المؤسسات الاجتماعية الشعبية ، كل ذلك هيأ الطبقات الاجتماعية على اختلاف مستوياتها في المجتمع العراقي للدخول في معترك السياسة ضمن هيكلية الحزب الشيوعي العراقي واستناداً إلى ما سبق سأورد بعض الأمثلة التي توضح مساحة الحزب الشيوعي في المجتمع العراقي محددة بسنتين فقط هما عام ١٩٥٤ وعام ١٩٥٥ من خلال وثائق وزارة الداخلية العراقية – المكتب الخاص –الامور السرية

أولاً : الطلاب : رفعت متصرفية لواء البصرة إلى وزارة الداخلية كتاب مديرية الشرطة يوم الخامس عشر من نيسان من عام ١٩٥٤ تبلغ فيها بتوزيع نشرات في ثانوية البصرة للبنين تتضمن الدعوة إلى توحيد الصفوف وشجب الدخول في المعاهدات والاحلاف العسكرية العدوانية جاء فيها :" نحن طلبة بغداد خضنا مع شعبنا البطل بكل شرف. معارك وطنية سجلت في تاريخ بطولاتنا ونخص بالذكر أعمالنا المجيدة ووثبة شعبنا التحررية حيث حطمت معاهدة بورتسموث الاستعمارية واعمالنا في انتفاضة تشرين الخالدة وما نشأ عنها من سفك لدمائنا من أجل استقلال وطننا والحريات الديمقراطية والجلاء . لقد عقدت حلف عسكري حربي اعتدائي بين تركيا وباكستان وأننا نعرف أهداف هذه الأحلاف والمعاهدات ومرماها البعيدة وما يكمن ورائها من خطر وإننا شعرنا بنشاط الأوساط الحاكمة مؤخراً في طبخ معاهدة ثنائية مع ألد أعدائنا الاستعمار الأمريكي ، كان ذلك بعدما احبطت الشعوب العربية مؤامرة المشروع الحربي العدواني مشروع الدفاع عن

الشرق الأوسط ، نقول، تنوي الأوساط الحاكمة عقد معاهدة جديدة تجيز لاستعمار مجرم محموم الاستعمار الأمريكي الدخول في وطننا الحبيب بالإضافة إلى وجود الاستعمار الإنكليزي .

أيها الطلاب : يا من قدمتم دمائكم مراراً على مصرع الحرية والتحرر والسلام أننا نناشدكم بان تعدوا العدة والاستعداد الدائم لخوض أعنف الأعمال الإيجابية لإحباط أية محاولة تقوم بها الفئة الحاكمة من ربطنا في أي معاهدة او حلف عسكري أو أي مشروع يخدم خطط المستعمرين الحربية .

ممثلوا الكليات كلية الهندسة – كلية الآداب – كلية العلوم – كلية الزراعة – كلية الطب – كلية الصيدلة والكيمياء – كلية التجارة والاقتصاد – كلية الحقوق – كلية دار المعلمين العالية – كلية الملكة عالية .

ممثلوا الثانويات والمتوسطات: ثانوية الكاظمية الصباحية للبنين – ثانوية الكاظمية المسائية للبنين – ثانوية الكرخ الرسمية للبنين – ثانوية الثقافة الأهلية للبنين – ثانوية الشرقية للبنين – ثانوية الاعدادية المركزية للبنين – ثانوية الجعفرية المركزية للبنين – متوسطة التعاون الثقافي للبنين – متوسطة الغربية للبنين – متوسطة المنصور – متوسطة فيصل – متوسطة الكاظمية " [٤]. كما رفعت متصرفية لواء الموصل بمخاطبة سرية إلى وزارة الداخلية كتاباً سرياً بعنوان (توزيع نشرات شيوعية في قصبة دهوك) تفيد بان الشرطة عثرت على أشرطة صحفية ملصقة على بعض أعمدة الكهرباء والتلفون في قصبة دهوك كتبت عليها العبارات التالية : **(يسقط الحلف التركي الباكستاني – اتحدوا ضد الاستعمار – عاشت الجبهة الوطنية – نريد توزيع الأراضي على الفلاحين – تسقط التكتلات الاستعمارية)** وقد باشرت الشرطة بالتحقيقات حول الطلاب المشتبه بهم من ثانوية دهوك وهم صالح كرد وصالح مصطفى وسعد الدين سعيد وعدنان أحمد بك وتحسين أحمد بك ويونس أحمد سعادة وصديق الحاج محمد[٥] . وفي التقرير السري الذي رفعته متصرفية لواء البصرة من مديرية شرطة لواء البصرة إلى وزارة الداخلية شعبة المخابرات السرية حول قيام اللجنة المحلية للحزب الشيوعي السري في البصرة ليلة ١٥-١٩٥٤/٤/١٦ بتوزيع نشرات شيوعية في مدينة العشار بعنوان **(بادروا لإنقاذ البصرة من الغرق)** مؤرخة في الخامس عشر من نيسان ١٩٥٤ ومطبوعة بمطبعة صوت الكادح وقد اشتبه بالطالب غازي حميد الشاهين أحد طلاب المتوسطة المسائية بالعشار والمستخدم بدائرة البريد ، وقد ألقي القبض عليه[٦]. كما أبلغت وزارة المعارف من دائرتها مديرية المعارف العامة ، وزارة الداخلية بنشاط الطلاب الشيوعي من العام ذاته إذ قام الطالب عبد الجليل مهدي مبارك في الصف الخامس الأدبي في ثانوية الحلة ، ومبدر عبد الأمير بالهتاف في قاعة المعارض بـ **(يسقط الملك فيصل ولتسقط وزارة الجبالي)** وأخذ بعض الطلاب الموجودين في القاعة يرددون هتافه ، ثم وفي طريق عودتهما بالقرب من دار السيد جعفر القزويني قام عبد الجليل برمي مناشير شيوعية وعند تعقبهما من قبل الشرطة وجحدت بحوزتهما :

- **١٥ منشور بعنوان (السلم والاستقلال الوطني والحياة الديمقراطية) .**
- **١٢ منشور بعنوان (لتسقط المعاهدات الاستعمارية) صادرة من مطبعة القاعدة للحزب الشيوعي العراقي .**
- **١٧ منشور بعنوان (يريد الشعب) من مطبعة القاعدة .**
- **٣ مناشر بعنوان سلماً وتحريراً ولا سلاحاً وحرباً صادر من مطبعة القاعدة .**
- **١ منشور واحد بعنوان (لا معاهدات) صادرة من مطبعة القاعدة .**
- **٣ مناشير بعنوان (انقذوا حياة السجناء السياسيين الأحرار) صادرة من الحزب الشيوعي العراقي مطبعة القاعدة .**
- **١ منشور واحد بعنوان (نداء الحزب الشيوعي العراقي) صادر من مطبعة القاعدة .**

ووجدوا معهم خارطة الاتحاد السوفيتي وفي وسطها المنجل والمطرقة[٧] .كما رفعت متصرفية لواء كركوك عن طريق المتصرف رشيد نجيب كتاباً إلى وزارة الداخلية حول اجتماع مجموعة من الشيوعيين في موقع يسمى (عكاشة) الواقع بين ألتون كوبري وكركوك وقد اتخذت المتصرفية الترتيبات بشأنهم ، فلاحظ معاون القضاء مع عدد من الشرطة أن المجتمعين كانوا بحدود (٦٠) شخصاً بما فيهم الطلاب والعمال وكان من بين الموجودين مصلح مصطفى – طالب في ثانوية كركوك ، ومحمد عزت أغا طالب سابقاً (مفصول) ، ونوزاد كريم طالب في مدرسة الصناعة ونصرت علي طالب في مدرسة الصناعة أيضاً وغيرهم [٨]. وفي بغداد رفعت مديرية شرطة لواء بغداد ، الشعبة الخاصة كتاباً إلى وزارة الداخلية بتاريخ ١٩٥٤/٥/١٣ بعنوان (الشيوعيون) ذكروا فيه : " إن الشيوعيين وطلاب الكليات أخذوا يجمعون التواقيع على عدة عرائض تتضمن إعفائهم من دورات التدريب العسكري في حمرين ويطالبون السماح لهم بالموافقة بسفرهم

إلى الألوية الجنوبية لمكافحة الأمية وسيقومون بتقديم هذه العرائض إلى السدة الملكية ورئيس الوزراء ووزير المعارف وإلى الصحف المحلية . والهدف الأساس لهذه العرائض هي بث روح التمرد بين الطلاب ونشر مبادئهم الهدامة في الألوية الجنوبية " . وكان هذا الكتاب بتوقيع إبراهيم حسين مدير شرطة لواء بغداد [٩]. يتضح مما تقدم إن الدعايات الشيوعية والشعارات التي تلامس واقع الطلبة وغيرهم تؤثر بهم بشكل كبير فتحرك في أنفسهم عوامل الاستياء من كل ما يحيط بهم ولعل ذلك راجع الى الفكرة الرئيسية في أذهان معظمهم وهي أنهم محتاجون ومحرومين ، والحاجة بينهم أصبحت ملحة والحكومة عاجزة ، أو أنها لا تريد أن تتخذ الموقف الذي يمليه عليها الواجب إزاء الشعب .كانت هذه الأسباب هي التي تعرض في النشرات الشيوعية التي توزع سراً – كما ذكرت – بين الناس بين الحين والآخر ، وإن نظرية محاربة الاستعمار لتثبيت مفهوم الوطنية أمام الشعب جعلت الكثيرين يسيرون في ركاب الشيوعية وبالأخص طلاب المدارس وطلاب الكليات وهذا الحال يشبه إلى حد ما، أيام انتشار الدعاية النازية في العراق أبان الحرب العالمية الثانية.

ثانياً : العمال : لا يختلف أثنان على إن الطبقة العاملة هم الفئة الأكبر بعد الطلاب التي تبنت المفاهيم اليسارية والانتساب إلى الحزب الشيوعي والعمل على نشر تلك المبادئ والمفاهيم ، فالشيوعية هي مبدأ إنشائي بطبيعته ، ثم إنها عبارة عن عقيدة وأمل، وعليه إن الذين يعتنقون الشيوعية عن عقيدة هم قلة قليلة مقارنة بعدد السكان ، لكن الذين يعتنقونها عن أمل فأن هؤلاء كثيرون جداً وكل منهم يأمل أو يتظاهر بالأمل بأن أحواله العامة ستتحسن عن طريق تطبيق النظام الشيوعي ، وبان الحكومة تستطيع أن تعطي كل شيء للمواطن المحتاج ولا تأخذ منه نظير ذلك شيئاً لكنها لا تريد أن تعطي ، وقد أثبتت السنوات الطويلة للحكم الوطني في العراق (منذ عام ١٩٢١) إن حالة الفرد والعائلة فيها تزداد سوءاً على مر الأيام ، وعليه فليس هناك أمل بزوال هذه الحالة أو استبدالها بأخف وطأة منها على الطبقة الفقيرة إلا بتطبيق النظريات الاقتصادية الشيوعية وإشباع حاجة أبناء الشعب كل حسب صنفه واستحقاقه . وبناءاً على ذلك بلغت متصرفية لواء البصرة بتاريخ الثالث عشر من نيسان عام ١٩٥٤ وزارة الداخلية بكتاب رسمي سري بالعثور على نشرات شيوعية من قبل مديرية شرطة الميناء، إذ عثر على أحد العمال في مسفن الميناء على ثلاث قصاصات الأولى بعنوان **(السلم والاستقلال الوطني والحريات الديمقراطية)** والثانية بعنوان **(لتسقط معاهدة باكستان تركيا)** والثالثة بعنوان **(نداء الحزب الشيوعي العراقي)** وقد نصت إحداها على : **(ناضلي يا جماهير شعبنا في جبهة كفاح وطني ضد الاستعمار الانكلو أمريكي في سبيل رفض الأحلاف العسكرية الحربية وجلاء القوات الاستعمارية وإلغاء معاهدة ١٩٣٠ وتأميم صناعة النفط والكهرباء والعلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتي وحل المشاكل الدولية عن طريق التفاوض) . الحزب الشيوعي العراقي**[١٠]

من جانب آخر كتبت مديرية شرطة لواء بغداد – القلم السري –بتاريخ السادس والعشرون من نيسان عام ١٩٥٤ إلى معاون شرطة الكاظمية ، الشعبة الخاصة كتاباً سرياً بعنوان **(عيد العمال)** عرض فيه أن العمال الشيوعيون ينوون القيام بمهرجان عمالي يتخذوه في اجتماع يعقدوه لهذا الغرض في الكاظمية يوم الجمعة المصادف الثلاثون من نيسان عام ١٩٥٤ وذلك احتفاءاً بذكرى يوم العمال الذي يوافق يوم الأول من مايس من كل عام والذي هو عيد العمال في جميع أنحاء العالم يقيمون له الاحتفالات والمهرجانات ، وقد وزعت نشرة للتهيؤ لليوم الموعود جاء فيها : **(لتحيا إلى الأبد ذكرى أول أيار) وطن حر وشعب سعيد**

نداء الحزب الشيوعي العراقي : إلى عمال النفط والسكك والميناء والنسيج والسجائر . إلى أبطال (كاورباغي)[١١] والمسيرة الكبرى لعمال (كي ثري) واضراب عمال النفط في البصرة واضراب عمال السكك وأبطال مذبحة الميناء وأبطال عمال السجائر والنسيج .بإلى جميع العمال والفلاحين وأبناء شعبنا العراقي المجاهد أن أول أيار هو أول انطلاقة عمالية ، وأول طلقة ثورية وجهت إلى صدور الرأسماليين الظالمين والتي هزت الأرض تحت أقدامهم إيذاناً بزوال النظام الرأسمالي الاستعماري ورمزاً لتضامن البروليتاريا واتحادها ضد الاستغلال الوحشي والعبودية الرأسمالية الاستعمارية .. **مطبعة القاعدة أواخر نيسان / ١٩٥٤ الحزب الشيوعي العراقي**[١٢] وفي سياق النشاط العمالي رفعت مديرية الشرطة العامة في بغداد الحركات بتاريخ ١٩٥٤/٥/٥ كتاباً سرياً إلى وزارة الداخلية بعنوان **(النشاط الشيوعي بين عمال معامل الشالجية)** رفعه وجيه يونس مدير الشرطة العام ذكر فيه إنه اجتمع العمال الشيوعيون من جماعة الحارس داود في محل الانقاض (السكراب) في معامل الشالجية وكان بينهم طه ابراهيم وعبد الجبار سلمان والحارس بترويج الشعارات الشيوعية مثل **(تسقط حكومة العراق الديكتاتورية) (يحيى الحزب الشيوعي العراقي) (يعيش السلام العالمي بقيادة الطبقة العاملة)** . وهذا الاجتماع هو الثالث لهم في مجال ترويج الاشاعات الشيوعية وغرسها في نفوس العمال تدريجياً ، الأمر الذي يوضح عدم التزامهم بالتعليمات والأوامر الخاصة بمنع عقد مثل هذه الاجتماعات وخطورتها بالأمن وأحداث الفوضى والاضطراب بين العمال[١٣]. وأبلغت مديرية شرطة الميناء

متصرفية لواء البصرة بكتاب سري في يوم الواحد والعشرون من تموز ١٩٥٥ بعنوان (**القبض على شيوعيين**) أنه تم القبض على العامل في شركة نفط الفاو عبد اللطيف جادر وقد اعترف بأنه أحد أفراد الخلية الشيوعية مع العامل في الميناء صمد عبد الرضا وأنهم قاموا بتوزيع المناشير في الطرقات في الفاو وهو على أتصال بالعامل دنخا شمعون بنفس الشركة [١٤].

ثالثاً : العسكريون والشرطة: امتد النشاط الشيوعي في العراق إلى معظم فئات وقطاعات الشعب الا أن نشاطهم كان محدوداً بشكل واضح في قطاعي الدفاع والداخلية، فلم تسجل التقارير أو المتابعات او ملاحقات السلطة أي انتماء لضباط الجيش العراقي ، بل أن المنتمين كانوا من الجنود او المراتب الدنيا نتيجة ظروفهم الصعبة في الثكنات العسكرية أو طبيعة تنقلهم تنفيذاً للأوامر الصادرة ، وحتى هؤلاء منن ثبت انتمائهم لم يشكلوا نسبة واضحة في المجتمع بل كانت محاولات بسيطة لزج الجيش في معترك السياسة وايجاد قاعدة مهمة للعمل الحزبي لكنها ظلت محدودة وغير مؤثرة . ومثال على ما سبق قام متصرف لواء كركوك رشيد نجيب برفع كتاب سري إلى وزارة الداخلية بعنوان (مناشير اتحاد العسكريين الوطنيين) يذكر فيه الاشتباه بسبعة جنود بقيامهم بتوزيع نشرات شيوعية وردت في البريد إلى ضباط الفرقة الثانية من حامية السليمانية ، تلخص فحواها بعدم الانضمام إلى الحلف الباكستاني – التركي ، وإلغاء قانون العقوبات العسكر ، وعدم ربط العراق بمعاهدات مع الدول الأخرى . ومما جاء فيه :" نداء اتحاد العسكريين الوطنيين .إلى جميع العسكريين الشرفاء (سلم دائم وحياة سعيدة) أيها الأخوان الجنود وضباط الصف ونواب الضباط الشرفاء يا أبناء العمال والفلاحين والكسبة والمهنيين ومثقفي شعبنا الذين ارتضيتم لأنفسكم مهنة الدفاع عن وطننا العزيز فصرتم من حيث لا تدرون حراباً يشهرها أعداء شعبنا المستعمرين وأذنابهم بوجه نضال شعبنا من أجل السلم والخير والعمل والأرض والاستقلال الوطني والحريات الديمقراطية .ويا أبناء شعبنا الجنود المكلفين الذين أرغمتم ردحاً من الزمن على الأعمال بالسخرة للإقطاعيين ومأموري الحكومة حتى بلغتم السن القانوني الذي يؤهلكم بنظر الحكومة المحلية لممارسة السخرة بصورة أبشع ولخدمة أعداء شعبنا لمدة طويلة سنتين فأكثر وساقتكم دوائر الشرطة والتجنيد جبراً إلى الثكنات العسكرية لأداء ما يسمى بخدمة العلم ... أيها الجنود المتطوعين وضباط الصف ونواب الضباط والضباط الشرفاء الذين اضطررتم للعمل والتوظيف جراء انعدام المشاريع الصناعية الوطنية والعمرانية والصناعية والثقافية والصحية كنتيجة متممة للسيطرة الاستعارية الاقتصادية المطلقة على شؤون قطرنا وكان مثلنا كمثل (المستنجد من الرمضاء بالنار) ... لقد لمسنا لمس اليد إصرار الفئة الحاكمة وقيادة الجيش على جعلنا جندرمة تأديبية ضد جماهير شعبنا منذ البداية وجيش عدواني فيزودوننا بالأسلحة ويوجهوننا للهجوم على الدول والشعوب المحبة للسلام ، فأعمال القمع الوحشية والقتل الجماعي التي مارستها قطعات الجيش العراقي ضد أبناء شعبنا العراقي المطالبين بالحقوق الاجتماعية القومية في الجنوب والشمال وأعمال الأرهاب والتهديد والتنكيل ضد العمال والطلاب والكسبة ومثقفي شعبنا في تشرين ١٩٥٢ واضراب عمال شركة النفط الاستعمارية في البصرة وعزم الفئة الحاكمة على الاشتراك في الحلف الباكستاني التركي الحربي العدواني جميعها تثبت حجة ما ذهبنا إليه..."[١٥]. وضمن السياق ذاته رفع مدير شرطة لواء البصرة عارف اسماعيل ، الشعبة الخاصة كتاب معنون (نشرات شيوعية) الى متصرفية لواء البصرة يذكر فيه ، أنه بتاريخ التاسع عشر من نيسان عام ١٩٥٤ قبض على الطالب سعد فخري الريس أثناء قيامه بتوزيع نشرات شيوعية في قصبة القضاء ، وكما قبض على الطالب سلمان عبد الرزاق من ثانوية أبي الخصيب ، ولدى التحقيق معهما اعترفوا بان الجندي محمد عبد الكريم درويش المستخدم في الديوانية من أهالي أبي الخصيب كان قد سلمه عدة نشرات شيوعية بعنوان (بادروا لانقاذ البصرة من الغرق) ونشرات أخرى بعنوان (طلاب الكليات والمدارس في بغداد يشجبون المعاهدات الثنائية مع أمريكا) [*]، وكراس (كفاح الطلبة) لسان حال اتحاد طلبة العراق العام العدد العاشر [١٦] . وأكد كاظم العطار مدير شرطة لواء البصرة بكتاب مديرية شرطة اللواء الشعبة الخاصة عنوانه (النشاط الشيوعي في المنطقة الجنوبية) أكد الأحكام العسكرية الصادرة بحق أفراد من الجيش العراقي بكتاب قائد الفرقة الأولى رقم (س/١٢٢٣) في العاشر من تموز عام ١٩٥٥ المتضمن قرار محكمة التمييز العسكرية بإعلان الأحكام على رمضان فرحان بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات وصبيح جعفر وعبد رومي وكاظم كريم بالسجن سبع سنوات ووضع ليلو عبد الرضا تحت المراقبة وطرده من الجيش ، كما صدرت احكاماً مختلفة بحق العسكريين نوري مجيد وعبيد عليوي وطاهر جواد وعبد الستار سلمان وعبد الستار علوان[١٧] . كما كتب حسين السعد متصرف لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية أنه علمت معاونية الشعبة الخاصة بوجود اجتماع للشيوعيين في دار الشيوعي الجندي الهارب عبد الزهرة جعفر غازي الواقعة في محلة المشراق وقد عثر في الدار على :

١-راية الشغيلة لسان حال الحزب الشيوعي العراقي العدد ١٦ في ٧ آب ١٩٥٤ .

٢-القاعدة (عدد ٢) رقم ١١ أوائل آب ١٩٥٤ تشكيل الوزارة السعيدية .

٣-نداء اللجنة المركزية بمناسبة عيد أول آيار .

٤-كتاب تقرير ف.م. مولوتوف للحزب الشيوعي .

٥-دروس انتفاضة موسكو – لينين ١٩٥٤ .

٦-أناشيد وأغانٍ السلم والحرية[١٨] .

أما نشاط قطاع الشرطة فقد رفع عبد الجبار فهمي متصرف لواء بغداد شعبة قلم التحرير كتاب إلى مديرية الاعاشة يبلغهم بنشاط مستخدم شيوعي الميول وهو جبار محمد الملقب (ابن الباش) في مديرية شرطة الاعاشة العامة الذي عمل على بث الدعاية الشيوعية (الفوضوية) بين عمال المخابز، وهو قائم على انتهاز الفرص للدعوة إلى الاضرابات والمظاهرات ، وقد ظهر نشاطه جلياً بالعمل مع العناصر الشيوعية مع كونه قد أحيل لعدة مرات سابقة إلى المحاكم وأفرج عنه [١٩] .

رابعاً : المعلمون من البديهي ملاحظة ارتباط نشاط المعلمين والمدرسين مع فئة الطلاب فإذا لم يكن التوجيه والكسب للحزب الشيوعي مباشراً فسيكون بشكل غير مباشر باعتبار المدرسين والمعلمين قدوة للطلاب في السلوك والتصرف إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن المعلمين هم الطبقة المثقفة الواعية في المجتمع ولها مكانتها المميزة والمرموقة من قبل الطلاب والأهالي والمجتمع ككل . في هذا الجانب أعلمت متصرفية لواء العمارة ، قلم التحرير ، وزارة الداخلية بكتابها السري المعنون (خطر الشيوعية) تعرض فيه رأيها للحد من انتشار المفاهيم والمبادئ الشيوعية في سلك التعليم والمعارف باتخاذ الإجراءات المناسبة ، فذكرت أن خير سبيل لإيقاف خطر الشيوعية في العراق باتباع ما يلي :

أولاً : تقوم الدوائر المختصة بتنحية كافة المعلمين والمعلمات من معتنقي هذا المبدأ (الهدام) من كافة المدارس لأنهم يستغلون سذاجة الطلاب فيوجهونهم التوجيه الخاطئ حسب طريقتهم في إفساد الناشئة .

ثانياً : تشجيع كافة العناصر القومية الواعية وحتى الحزبية لمناهضة الشيوعية بكل الطرق وبشتى الوسائل لتكون عوناً للحكومة في المكافحة إذ لا يخفى ما للأحزاب من تأثير مباشر على أتباعها وإنه يمكنها بطرقها الخاصة ان تفيد فائدة كبرى لا يمكن **تجاهلها** .

ثالثاً : تشديد العقوبات على مروجي الشيوعية وناشري مبادئها لكي يكون العقاب رادعاً لهم بشكل حاسم وعلى أن يرافق ذلك وضع خطة شاملة وسريعة لاستصلاح الأراضي وتوزيعها على الفلاحين وعلى تأسيس المعامل التي يحتاجها البلد في مختلف الألوية حسب القابليات والإمكانيات . لأن الانسان إذا شبع وتعلم واشتغل بأي شغل يؤمن له معيشته بشكل معقول فأنه لا يكون سهل الانقياد أو التقبل لمثل هذه الدعوات الخادعة . مشكورأبو طبيخ[٢٠] متصرف لواء العمارة

المقترحات : نقل (٧٣) معلم ابتدائي / مدرس / مدرسة .أو فصلهم من الخدمة .وغالباً ما يقدم المعلمون إلى لجان التحقيق والمحاكم بسبب نشاطاتهم الحزبية كما حدث عند رفع متصرفية كركوك كتابها السري إلى وزارة الداخلية بعنوان (نشرة شيوعية) وفيها يعلم معاون شرطة كفري بأن حاكم التحقيق أفرج عن المعلمين سلمان صالح الجبوري وجلال حسين ... وأكمل التحقيق ضد المعلم إسماعيل حقي عبد الله لتطابق كتابته بكتابة النشرة في مدرسة كفري[٢١] .وفي الموصل عثرت دائرة الشرطة على نسختين من بيان بعنوان (بيان من مؤتمر الدفاع عن حقوق شعوب الشرقين الأدنى والأوسط) مؤرخ من بيروت يوم التاسع عشر من كانون الأول من عام ١٩٥٣ ومطبوع في مطبعة الجامعة ببغداد مرماة على الرصيف في شارع باب النبي ، وكان الاعتقاد السائد أنها من نشاطات المعلمين ذوي الميول الماركسية في اللواء جاء فيها : " إن شعوب الشرقيين الأدنى والأوسط تعيش بأوضاع متشابهة وتواجه أخطاراً ومشاكل متماثلة تتطلب منا توحيد الجهود والنضال في سبيل تحقيق مطالبها وأهدافها الوطنية وفي الوقت الذي ينعقد فيه هذا المؤتمر تعاني شعوب الشرقين الأدنى والأوسط هجمات الاستعمار العدوانية على مصالحها الوطنية السياسية والاقتصادية والثقافية، فالاستعماريون البريطانيون يقفون موقف عدائي صريح من الشعب المصري يساندهم الاستعمار العالمي ويقف الاستعمار في البلاد العربية وفي إيران وشمال أفريقيا جبهة موحدة للقضاء على الحركات التحررية لهذه الشعوب وقد كشفت المناقشات ... أن شعوبنا جميعاً مهددة بمشاريع استعمارية واحدة او متشابهة تؤدي كلها إلى جر بلادنا إلى مغامرات حربية لا مصلحة لشعوبنا فيها، وتساهم هذه المشاريع في زيادة حدة التوتر الدولي وفي تهديد السلام العالمي " [٢٢] .من المفيد ملاحظة أن المنشورات الشيوعية – موضوعة الدراسة– كانت تتميز بالأسلوب التفصيلي للأحداث ، واعتمدت أسلوب التطويل والحماسة واستخدام الألفاظ الحماسية ، كان كل ذلك هو تعبيراً لروح العصر فمع وجود المنشورات المختصرة

أو الشعارات التي علقت على أعمدة الكهرباء في الشوارع او على البنايات ، كانت هنالك أيضاً المناشير المطولة وأحياناً تشمل عدة صفحات حتى ولو كتبت بخط اليد ، فأكثر ما كان متوفراً – حينذاك – هو الوقت ، وعليه لم يعتمد على موضوع اختصار الوقت أو عنصر السرعة في العمل والكسب الحزبي والنقاشات وغيرها .

خامساً : الكسبة وعامة الناس: عدت هذه الفئة أيضاً من أهم مجالات عمل الحزب الشيوعي العراقي لأنها لم ترتبط بالحكومة رسمياً بعمل أو التزام آخر ، وعليه امتلكت الحرية الاقتصادية مع الظروف المعاشية الصعبة متمثلة بالفقر والواقع الاجتماعي المتدني لذلك نجح الماركسيون الأوائل في استقطاب الكسبة والعاطلين عن العمل وأصحاب المهن الخاصة الأخرى على اختلاف مستوياتهم الثقافية ، ومثال ذلك أنه عثرت شرطة شركة النفط العراقية في كركوك على سبعة عشر نسخة من المناشير الشيوعية فغي الأول من مايس ١٩٥٤ بالقرب من محل النجارة العائد إلى (أوستا هوبي) القريبة من شركة النفط . نص المنشور على :

– تسقط المعاهدة الباكستانية التركية .

– تسقط المعاهدة الثنائية .

– عودوا إلى بلادكم أيها الانكليز والأمريكان .

وطن حر وشعب سعيد

أيها المواطنون والمواطنات يا أبناء ثورة الزنج وثورة العشرين ووثبة كانون وتشرين يا أحفاد الشيرازي والخالصي وأبو التمن والرصافي . إن المستعمرين الأمريكان والإنكليز يعملون اليوم بجنون أشد لفرض العبودية الاستعمارية على بلدان الشرقين الأدنى والأوسط عن طريق محور كراجي – انقرة وبأسم المساعدات العسكرية لتسليح بلداننا العربية وتحويلها إلى رئس جسر وقاعدة عدوانية للحرب. إن المستعمرين الإنكليز الذين تحتل جيوشهم قطرنا في الحبانية والشعيبة ولهم ركائز حربية في أم قصر وجزيرة الرفاعي يسهلون للأمريكان لبناء القواعد الحربية في الموصل وراوندوز وعلى محاذاة الحدود الإيرانية .أيها العمال والفلاحون والطلاب والكسبة والتجار والأحرار أيها الجنود والضباط الوطنيون . أيها المحبون لوطنكم إن حزبنا الشيوعي العراقي الذي يقف بكل شجاعة وإقدام بوجه مستعبدي شعبنا ومثيري الحرب يتقدم اليكم موجهاً ندائه الصميمي إلى النهوض في جبهة وطنية ضد الأحلاف العسكرية العدوانية . مطبعة القاعدة ١٣/ آذار/ ١٩٥٤[٢٣] الحزب الشيوعي العراقي وفي لواء كربلاء عثرت شرطة اللواء على مناشير شيوعية بعنوان (كفاح الشغيلة) وهي جريدة الحزب الشيوعي – اللجنة المحلية في اللواء العدد (٣) السنة الأولى تموز عام ١٩٥٥ ، وقد قام بكتابتها السيد مهدي السيد جواد (القندرجي) وعلي بن حسين الراشدي (كذلك) وهاشم السيد زكي صاحب محل استهلاك وجاسم الحاج محمد الأعور خرازي وعبد الأمير محمد علي تلميذ ثانوية ، وقد عثر بدار أحدهم على (٢٠) نسخة من المنشور وبيان بعنوان (بيان الحزب الشيوعي العراقي حول الحرائق وفرية نوري السعيد) كما تم العثور على منشورين بعنوان (عاشت الثورة العراقية الكبرى) للحزب الشيوعي العراقي في الثلاثون من حزيران عام ١٩٥٥ طبعت بمطبعة راية الشغيلة ومنشورين بعنوان (الأرض للفلاح . والفلاح أخ الفلاح) ، وكراس صغير بعنوان (استعدوا لاستقبال طلائع المد الثوري) بقلم عماد من مطبعة راية الشغيلة في تموز عام ١٩٥٥ ، كما عثر على :

– كتيب دعوة إلى إصلاح دستوري وهو نص المحاضرات التي ألقاها حسين جميل في قاعة نادي المحامين بتاريخ ١٩٥١/٣/١٥ صدرت عن مطبعة الراية .

– والأحكام العرفية وهو بحث فقهي من مطبعة العاني عام ١٩٥٣ .

– بحث في المعاهدة التركية العراقية إلى كامل الجادرجي وهو من مطبوعات الحزب الوطني الديمقراطي .

– نشرة بعنوان الشهيد الوطني شاؤول طويق[٢٤] .

وكانت تلك النشاطات تتم بشكل دوري وبسرية عالية بين أصحاب الحرف سواء داخل مركز القضاء أو مع الألوية الأخرى [٢٥].

سادساً : رجال الدين: ومما يلفت الانتباه حقاً هو محاولة زج رجال الدين أو ممن ينحدرون من عوائل دينية لها مركزيتها في كربلاء والنجف ضمن صفوف الحزب الشيوعي العراقي ومبادئهم التي تتمحور حول المادية في الحياة والابتعاد عن كل ما هو روحاني ، ومن أمثلة ذلك ما رفعته مديرية شرطة بغداد – القلم السري إلى مديرية التحقيقات الجنائية إعلامهم بحضور شخص إلى مديرية الشرطة في لواء بغداد يبلغهم بقيام عبد الزهرة ملا ديوان الحلي بالخطبة في المجمع الموجود في الصحن الكاظمي الشريف ضد الاستعمار ونضال

المرأة والمطالبة بحقوقها والحرية وقضايا الاستعباد ، ومن المعتقد إن هذا الرجل ينتمي لجماعة أنصار السلام ومرسل من قبل الحزب الشيوعي ، لذا تقرر إلقاء القبض عليه وإيقافه وفقاً للمادة ٨٩ أ من قانون العقوبات البغدادي[٢٦] .

كما كتبت متصرفية لواء الديوانية إلى وزارة الداخلية بالاستناد إلى كتاب معاون شرطة النجف ، ومعاون شرطة الكوفة ، إنه عثر على منشورات شيوعية مهمة بحوزة المدعو حمزة بن عذاب بتاريخ الرابع من تموز ١٩٥٥ لتوزيعها فيما بعد وأن موسى السيد علي من سكان النجف – حي العمارة هو الذي جاء بهذه النشرات الشيوعية إلى غماس وقد تسلمها من مهدي صباح يوم الجمعة الأول من تموز ١٩٥٥ في مدينة النجف ، وإن الأخير لم يذكر اسمه الحقيقي وتعرف عليه بواسطة صادق الجواهري من أهالي النجف محلة الجديدة وكريم كاشف الغطاء ووداعه القصاب من سكان النجف أيضاً [٢٧].

سابعاً : النساء كانت شريحة النساء ولازالت من أهم شرائح المجتمع التي ساهمت في الفعاليات السياسية والعمل السياسي لخصوصية مكانة المرأة في المجتمع وسهولة نقل وتوصيل التعليمات والتوجيهات والبريد السري، وأيضاً، ان الفكر السياسي والمبادئ لأي حزب من الأحزاب، عندما يعتنقه شخص ما فمن البديهي أن يضم معه بعض أفراد أسرته من النساء إلى الحد الذي نجد مساهمة المرأة بشكل واضح، وبروز أسماء قيادية عديدة في الحزب الشيوعي العراقي حملت تلك المبادئ ودافعت بشدة عما اعتنقته وبشكل خاص في مجال حرية المرأة وانصافها في المجتمع وفسح المجال أمامها للمساهمة في بناء العراق وتعليمها وتثقيفها ونيل حقوقها، والامثلة على هذا الجانب كثيرة، وأيضاً تعرضت المرأة للملاحقة القانونية من قبل السلطة وغالباً ما كانت النساء توضع بمحل الشبهات من قبل العناصر الأمنية ومثال ذلك بلغت متصرفية لواء ديالى ، التحرير ، وزارة الداخلية أنه تم إلقاء القبض على صفية بنت تقي لاتهامها بنقل مناشير شيوعية عند انتهائها لمواجهة أحد أقربائها من المسجونين في سجن بعقوبة الشيوعي وكان في حوزتها :

١- رسالة إلى المجاهد الاقدم الرفيق فهد مؤرخة ٥/ كانون الأول/ ١٩٤٣ بتوقيع (مقدام)
٢- مقدمة عن الحزب الشيوعي بقلم الرفيق صارم (حسين الشبيبي) .
٣- حزب شيوعي لا اشتراكية ديمقراطية بقلم الرفيق فهد سكرتير الحزب الشيوعي العراقي – بخط اليد .
٤- كتاب بعنوان (خلافاتنا مع الانتهازيين) مطبعة القاعدة[٢٨] .

وبلغت شعبة المخابرات السرية وزارة الداخلية بقيام موزع البريد بتسليم رزمة مغلقة إلى سجن النساء تعود إلى الممرضة نوئيلي وهي ارمنية عراقية ، فلما فتحتها انكرت عائديتها لها، وقد احتوت (٧٢) منشوراً وثلاث كراسات باللغة الفرنسية مما دل على التنسيق والتعاون الكامل وحضور العنصر النسائي في العمل السياسي الشيوعي بشتى الظروف والأمثلة على ذلك كثيرة وفي مختلف مناطق العراق[٢٩] .

وفي السياق ذاته رصدت متصرفية لواء الموصل عن طريق أفراد من الشرطة السرية المدنية قيام عدد من النساء في عدد من مناطق قضاء الموصل بالتجوال بشكل يدعو للملاحظة ، وعند التحري والتدقيق تبين قيام هؤلاء النسوة بتوزيع النشرات الشيوعية بإلقائها على الأرض وأمام المحال التجارية ، وقد عثر على (٢٧) نسخة من تلك المنشورات بعنوان (حزب وحدة الشيوعيين في العراق) ، كما رفع مدير شرطة لواء الموصل نجيب علي بياناً بمنشور شيوعي ضمن النشاط ذاته جاء فيه :

(سارعوا إلى إغاثة منكوبي الفيضان) إن قسماً كبيراً من كادحي شعبنا فقدوا مزروعاتهم ومساكنهم وكل ما لديهم من أقوات وأسباب العيش . أن من نجوا من الموت يبيتون مشردين في العراء ، فأكثرهم ليس لديهم ما يسد رمقهم . أنهم ضحية من أبرز ضحايا شعبنا ضحايا اللصوصية التي استندت إلى الاحتكارات الاستعمارية التي تنهب ثرواتنا . أيها الرفاق ألفوا اللجان لإغاثة منكوبي الفيضان المطالب :

١- توفير في الحال المأوى والغذاء .
٢- توفير فرص العمل للقادرين .
٣- تجهيزهم بالماء النقي والكهرباء .
٤- جمع مواد الإغاثة العينية وإيصالها لهم مباشرةً .
٥- الضغط على الحكومة لإيقاف المشاريع الستراتيجية وتوجيه نفقاتها لإغاثة المنكوبين[٣٠].

من البديهي أن يستغل أعضاء الحزب الشيوعي سوء الأوضاع المعاشية وتردي الأحوال الاقتصادية في عموم العراق للضغط على السلطة السياسية الحاكمة بشكل مقالات في الصحف العلنية أو السرية أو توزيع المناشير أو القيام بأفعال قد تكون بتوجيه فردي من

مجموعة او أخرى . جاءت هذه النتيجة بعد انتشار منكوبي الفيضان وإيجاد أحياء سكنية من سكان الصرائف ، لكنها أتت بنتائج عكسية بالنسبة للحكومة ، فقد انتشرت الصرائف في كل مكان يمكن تشييدها في أنحاء العاصمة –على سبيل المثال– وانتخب بناة الصرائف أحسن المحلات التي تحلو لهم لبنائها، وهذه الصرائف لا تضم منكوبي الفيضان فحسب، بل التحق بهم معظم أصحاب الصرائف التي لم ترق لهم محلاتهم السابقة لأجل الانتفاع من عمليات الإسعاف والإغاثة بالمال أو بالأرزاق ، ما أدى إلى انتشار الأوساخ والقاذورات وبالأخص في العرصة المجاورة لبناية المتحف حيث الشارع الذي يمر منه موكب الملك يومياً، كما أن معظم سكان تلك الأحياء من المشاغبين والفوضويين الذي أثاروا روح التذمر والهياج بين منكوبي الفيضان[٣١] . من جانب آخر استغل بعض أعضاء الحزب الشيوعي الظروف المتردية لسكان الصرائف فعملوا على افتعال الحرائق في العديد منها سواء في مناطق متفرقة من البصرة أو الديوانية وبفترات متقاربة ، إذ رفع مزاحم ماهر متصرف لواء البصرة إلى وزارة الداخلية كتاب سري بعنوان (حول إحراق الصرائف) وعلاقة الشيوعيين فيه واكتشاف التحقيق تورط بعض عناصرهم في تلك الحوادث بعد أن تكررت تلك الحوادث بصورة غير اعتيادية بحيث أعطت شعوراً للسكان بعدم الأمان والقلق ، إذ ألقت السلطات القبض على صالح عطشان وعبد عون شاهر وآخر معهم ، ودلت التحقيقات على أن هنالك فئة من الشيوعيين هم الذين يدربون هؤلاء لإضرام النار في الصرائف ، ومن هؤلاء الموظف حسين علي الدوغجي موظف إخراج في كمارك البصرة[٣٢] . وتكررت حوادث إحراق الصرائف في المناطق المحيطة ببلدة الشامية ، ومن ذلك التكرار حامت الشبهات حول بعض العناصر ممن يحملون المبادئ اليسارية ، وفي التوقيت ذاته حدثت حادثة حريق للصرائف في غماس احترقت على أثرها (٣٠) صريفة ، وعند إلقاء القبض على الفاعلين تبين أنهم ممن ينتمون للحزب الشيوعي العراقي [٣٣]. إن تمركز تلك الحوادث بين أبي صخير والشامية في الوقت الذي توقفت فيه الزراعة في أغلب مناطق هذين القضائين بسبب قلة المياه وهجرة قسم من الزراع لمناطقهم بالإضافة إلى حوادث الحرائق ، كل تلك الأمور تورد روح التذمر والسخط ، يضاف إليه انقطاع الكسب عن أغلبهم وهم يسكنون في مناطق عشائرية مزدحمة تؤدي بالتالي إلى إحداث القلاقل وعدم استتباب الأمن[٣٤] . بمقابل ذلك دافع الحزب الشيوعي العراقي عن موقفه وعن اتهام السلطة لأعضائه بتوزيع مناشير شيوعية في أزقة الشامية مكتوبة بخط اليد جاء فيها :صورة بيان من منظمة الحزب الشيوعي العراقي في الشامية :إلى جماهير الشامية الكرام إن تصاعد الحركة الوطنية وتعاظم حركة شعبنا البطل من أجل السلم والتحرير والديمقراطية أفزع المستعمرين وعملائهم ... ثم أن عجزهم من قوى الحركة وقيادتها – الحزب الشيوعي المجاهد – كل هذا جعلهم ينحدرون أكثر فأكثر إلى أسفل وأحط الأساليب التي يتصورون أن من ورائها ينفذون مآربهم الدنيئة .. أن قيام السلطة بحرق أماكن متعددة هو عمل بحد ذاته ينم على أدنى وأحط الأعمال الإجرامية ، ثم إننا نذّكر جماهير الشامية بأعمال هتلر حينما حرق الرايخشتاغ واتهم بحرقه الشيوعيين ولكن الحقائق الصارخة كشفت عن إجرامه . وهكذا نجد الطبقة الحاكمة التي باعت نفسها تسلك اليوم نفس سلوك الهتلريين . إننا نهيب بجماهير الشامية وضع حد لأعمال الطغمة الحاكمة الخائنة وفضح هذه المؤامرة (الحقيرة) والاحتجاج عليها .. لفضح المؤامرة من تشريد العوائل من نساء وأطفال وأبناء الطبقة الفقيرة وحرق أثاثهم وأقواتهم .... منظمة الحزب الشيوعي العراقي في الشامية[٣٥]

الخاتمة

أدت الفئات الاجتماعية في المجتمع العراقي على اختلافهم وتنوعها دوراً مهماً في انتشار مبادئ الحزب الشيوعي العراقي ابتداءاً باليسارية والماركسية ووصولاً إلى الاشتراكية ، فقوة الدعاية الشيوعية أضحت ذات تأثير ملموس على المستويات كافة كالطلاب والمعلمين والموظفين والكسبة والعسكريين والنساء وعامة الناس وغيرهم ، ساعد على ذلك عدة أسباب منها سوء الحالة المعاشية والفقر ، عدم الاهتمام بالمشاريع الخدمية والاستثمارية من قبل الدولة ، سهولة الاتصال بالشيوعيين من خارج البلاد عبر الحدود وبالأخص الحدود الإيرانية ، ونشاط الدبلوماسية الروسية في بغداد وخارجها ومدهم بالأموال اللازمة لغرض ترسيخ الشيوعية في المجتمع . في هذا البحث استعرضت مساهمات الرعيل الأول من الشيوعيين في العراق . وبالتأكيد نلمس اختلاف الأهداف والوسائل والغايات والمحصلات النهائية عما تلاهم من قادة الحزب الشيوعي ، فلم نلمس غير المطالبة بإسقاط المعاهدات الاستعمارية التي تربط العراق مع المحاور الخارجية وتكبل حريته واستقلاله، كما لم نلاحظ أية امتيازات مادية أو معنوية حظي بها هؤلاء ، فكل هدفهم كان المطالبة بالحقوق وعرض تقصير الحكومة تجاه الشعب وان اختلفت وسائل اعتراضهم بين الحين والآخر وتحملهم الملاحقات القضائية والأحكام بالسجن

والإعدام . وكنتيجة لقوة التأثير في المجتمع فقد نبهت الحكومة ذاتها إلى ضرورة إصلاح الخلل ومحاربة الفساد والحد من الإهمال والتهميش لأفراد المجتمع العراقي على اختلاف طبقاته . ومن تلك الإجراءات نذكر منها :

– محاربة الفقر والمرض والجهل وهذه الخطوة تعتبر من أهم ما يجب الالتفات إليه من جانب الحكومة –حينذاك– .

– تعديل قانون العقوبات البغدادي (ق. ع . ب) والقوانين المختصة الأخرى من أجل رفع الظلم في الأحكام الصادرة بحق الشيوعيين .

– تعديل نظام نقابة المحامين بإدخال نصوص تخول النقابة بالحد من إقصاء الاعضاء الذين يثبت عليهم النزعات الشيوعية ومدى اتساع النشاط الشيوعي الذي يزاوله أعضائها .

– تعديل نظام إدارة السجون بما يكفل السيطرة على السجناء الشيوعيين وغيرهم وتثبيت ما ينص في النظام من أن السجناء الشيوعيين هم سجناء اعتياديين وليسوا من ذوي الأحكام الخاصة المشددة بالسجناء السياسيين، لأن ذلك سيخلق منهم عناصر ضارة في المجتمع لا يمكن إصلاحهم بعدها .

– فتح دورات تعليمية للعمال من كل صنف حسب اختصاصه لتكمل لدى العامل ثقافته الفنية فيصبح قادراً على الاعتماد على نفسه عزيز الثقة بها .

– تعميم الثقافة الدينية في المدارس وإعادة النظر في المناهج الدراسية بحيث تصبح الدروس الدينية واجبة التطبيق . وإيجاد التعاون بين وزارة المعارف وكافة الوزارات لاستخراج رأي بعضها البعض لتنفيذ المقترحات التي تخدم الوطن .

الهوامش والمصادر:

١– للمزيد عن نشاط وتاريخ الحزب الشيوعي العراقي ينظر : سمير عبد الكريم، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ، ج١ ، ١٩٣٤–١٩٥٨ ، دار المرصاد، بيروت ، د.ت ؛ حنا بطاطو ، العراق، الكتاب الثاني ، الحزب الشيوعي ، ترجمة : عفيف الرزاز ، مؤسسة الابحاث العربية ، لبنان ، ١٩٧٨ .

٢– الحكومة العراقية، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء البصرة الى وزارة الداخلية ، التحريرات ، كتاب (سري) عدد ٤٨٥ / ٣/ ٢ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/١٥ .

٤– الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء الموصل، قلم التحرير (سري) ، إلى وزارة الداخلية، م/ توزيع نشرات شيوعية في قصبة دهوك ، العدد ١١٥٥٠ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/١٩ .

٥– الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء البصرة، مديرية شرطة اللواء ، إلى وزارة الداخلية ، م/ التقرير السري ، شعبة المخابرات السرية ، العدد ١٩٥٢ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/٢٤ .

٦– الحكومة العراقية ، وزارة المعارف ، مديرية المعارف العامة ، مديرية الذاتية ، إلى وزارة الداخلية ، م/ نشاط الطلاب الشيوعي ، العدد ١٤/١٦/س/٧٧٩ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/٢١ .

٧– الحكومة العراقية، من متصرفية لواء كركوك ، إلى وزارة الداخلية ، م/ اجتماع شيوعيين ، كتاب سري، العدد ٢١٩ ، بتاريخ ١٩٥٤/٥/٥ .

٨– الحكومة العراقية، وزارة الداخلية ، مديرية شرطة لواء بغداد ، الشعبة الخاصة ، الى متصرف لواء بغداد، م/ الشيوعيين ، العدد ٣٣٣، بتاريخ ١٩٥٤/٥/١٣ .

٩– الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء البصرة، إلى وزارة الداخلية، م/ العثور على نشرات شيوعية ، كتاب عدد ٢/٣/٤٧٢ ، في ١٩٥٤/٤/١٣ .

١٠– الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء بغداد ابراهيم حسين مدير شرطة لواء بغداد ، إلى وزارة الداخلية ، الشعبة الخاصة ، القلم السري ، م/ عيد العمال ، كتاب عدد ٩٦٠، بتاريخ ١٩٥٤/٤/٢٦ .

١١– كاورباغي : وهي حادثة التي وقعت يوم ١٢/ تموز/ ١٩٤٤٦ عندما فتحت الشرطة النار على عمال شركة نفط كركوك المضربين في منطقة كاورباغي . أوميدكوبرولو، فاجعة تموز التي لا يمكن نسيانها أبداً، موقع تركمان دياري؛ عبد الحسين شعبان، جذور التيار الديمقراطي في العراق ، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام ، بيروت، ٢٠٠٧، ص٥٣ .

١٢- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من مديرية الشرطة العامة ، وجيه يونس مدير الشرطة العام ، إلى وزارة الداخلية ، الحركات ، م/ النشاط الشيوعي بين عمال الشالجية ، كتاب عدد ٢١٣٨ ، بتاريخ ١٩٥٤/٥/٥ .

١٥- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، متصرفية لواء البصرة ، مديرية شرطة الميناء ، وزارة الداخلية ، كتاب سري ، م/ القبض على شيوعيين ، كتاب رقم ٢٨١ ، بتاريخ ١٩٥٥/٧/٢١ .

١٧- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء كركوك ، إلى وزارة الداخلية ، م/ مناشير اتحاد العسكريين الوطنيين ، كتاب رقم ١٧٣٨ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/٨ .

١٨- للمزيد ينظر الملحق رقم (١) وهو صورة طبق الأصل عن النشرة الشيوعية في كتاب متصرفية لواء البصرة .

١٩- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من مديرية شرطة لواء البصرة، الشعبة الخاصة ، إلى متصرفية لواء البصرة، م/ نشرات شيوعية ، كتاب عدد ٩١٨ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/٢٢ .

٢٠- الحكومة العراقية، وزارة الداخلية ، من مديرية شرطة لواء البصرة ، الشعبة الخاصة ، إلى متصرفية لواء البصرة ، م/ النشاط الشيوعي في المنطقة الجنوبية ، كتاب عدد ٢٠٦ ، بتاريخ ١٩٥٥/٧/١٧ .

٢١- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء كربلا، قائمقامية قضاء النجف، التحرير ، إلى وزارة الداخلية ، م/ حول التحقيقات الجارية ، كتاب عدد س/٢٦٠ ، بتاريخ ١٩٥٥/٦/٢٦ .

٢٢- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء بغداد، قلم التحرير ، إلى مديرية شرطة الاعاشة العامة ، م/ مستخدم شيوعي ، كتاب عدد ٤٣١ ، بتاريخ ١٩٥٤/٦/٥ .

٢٣- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء العمارة، التحرير ، إلى وزارة الداخلية م/ خطر الشيوعية ، كتاب عدد ١٩٤ ، بتاريخ ١٩٥٤/٦/١٤ .

٢٤- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء كركوك، التحرير ، إلى وزارة الداخلية ، كتاب سري، م/ نشرة شيوعية ، رقم ٤٤١ ، بتاريخ ١٩٥٥/٧/١٠ .

٢٥- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء الموصل، إلى وزارة الداخلية ، كتاب سري، م/ نشرات شيوعية ، رقم ١٨٦٧ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/١٨ .

٢٦- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء كركوك، المتصرف رشيد نجيب ، إلى وزارة الداخلية ، كتاب سري، م/ نشرات شيوعية ، رقم ٢٣٤ ، بتاريخ ١٩٥٤/٥/١٧ .

٢٧- شاؤول طويق، عد أول شهيد للحركة الوطنية اليسارية في العراق ، وهو أحد أبرز قيادات الحزب الشيوعي العراقي من اليهود ، استشهد أثناء مظاهرة احتجاج في بغداد لجلاء القوات البريطانية عن العراق عام ١٩٤٦ . نبيل عبد الامير الربيعي ، شهيد الحركة الوطنية العراقية شاؤول طويق ، موقع الحوار المتمدن : www.ahewar ؛ يوسف مائير، خلف الصحراء ، الحركة السرية الطلائعية في العراق ، ترجمة : حلمي عبد الكريم الزعبي ، منشورات مركز الدراسات الفلسطينية ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص٢٨١ .

٢٨- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء كربلا، التحريرات ، إلى وزارة الداخلية شعبة المخابرات السرية ، كتاب سري، م/ نشرة شيوعية ، العدد ٣١٠، بتاريخ ١٩٥٥/٨/٦ .

٢٩- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء بغداد، ابراهيم حسين مدير شرطة لواء بغداد، القلم السري ، إلى مديرية التحقيقات الجنائية ، م / ارسال منهم ، العدد ٧٧٠ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/٣ .

٣٠- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء الديوانية، التحرير ، إلى وزارة الداخلية ، م/ نشرات شيوعية ، كتاب رقم ٢٦٢ ، بتاريخ ١٩٥٥/٧/١١ .

٣١- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء ديالى، التحرير، كتاب سري ، إلى وزارة الداخلية ، كتاب عدد ٣٦٢ ، بتاريخ ١٩٥٤/٧/٣ .

٣٢- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، شعبة المخابرات السرية، كتاب سري رقم ع ٣١٤ ، بتاريخ ١٩٥٥/٨/٦ .

٣٣- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء الموصل، التحرير ، إلى وزارة الداخلية ، كتاب سري، العدد س/٤٦ ، بتاريخ ١٩٥٤/٤/١٧ .

٣٤- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، شعبة الأمور السرية، إلى المكتب الخاص لوزارة الداخلية ، م/ سكان الصرائف ، رقم ١/٧٦٣ ، بتاريخ ١٩٥٥/٦/٢٥ .

٣٣- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء البصرة، التحريرات ، إلى وزارة الداخلية ، كتاب سري، م/ حول احراق الصرائف ، العدد ٧٦٦ ، بتاريخ ١٩٥٥/٦/٢٩ .

٣٥- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء الديوانية، إلى مديرية الشرطة العامة، كتاب سري، م/ الحرائق في الصرائف، رقم ٤١٧٠ ، بتاريخ ١٩٥٥/٧/٩ .

٣٦- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، المتصرف محمد علي شريف، من متصرفية لواء الديوانية، م/ حوادث حريق في قضاء الشامية، كتاب سري ، رقم ٢٥٨ ، بتاريخ ١٩٥٥/٧/٩ .

٣٧- الحكومة العراقية ، وزارة الداخلية ، من متصرفية لواء الديوانية، التحرير ، إلى وزارة الداخلية ، كتاب سري، م/ العثور على مناشير شيوعية ، العدد ٢٤٧، بتاريخ ١٩٥٥/٧/٢ .